تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك انجاي «سنغال»

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطقه المختلفة اللغات . كان **الملوك يستعملون المستعربين** للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، **فكانت العربية لغة تدوين الوثائق** من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الاعلانات والمناشير التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشائخ يراسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب « دراسات اسلامية عن سنغال » يقول الافريقاني الفرنسي «بول مارتي» ان **جميع المشائخ كانوا يراسلون السلطات الادارية بالعربية** ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لاغراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقاني الفرنسي « روبير ارنو » Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

« ... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنه وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه ... والفكرة الداعية لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر . » (1)

وهذا اقرار واعتراف بانه وجدت وتمثلت **عقلية قرآنية** تستحق ان تتكيف السياسة لمجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الافضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم اغراءات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الاعراض عن الكتاتيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتاتيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتاتيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور **1385 كتابا** .

(1) L'Islam et la politique musulmane française en Afrique Occidentale

وفى مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 – 1879 م الموجودة فى مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتى نقلنا منها النصوص الآتية فى آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك فى دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية فى احدى جهتيها مع الفرنسية فى الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية فى التعريب :

ومن اهم الدوافع للتعريب فى هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها فى سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تاثير هذه الطرق فى مجالين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى فى سنغال كمدرسة التجانية فى تراوون ومدرسة المريدية فى جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة فى هذه الطرق مثل الشيخ سعد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الابناء باسمائهم واسماء من تفرع منهم . ولكون هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين فى التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون فى اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يخيرهم اسماء لمواليدهم من المريدين وعلى من اهتدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العالمية ، فمن هنا تنسخ الابوة الروحية عمل الابوة النسبية برضى ووفاق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المهتدى الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم «محمد الامين» والسراري المهتدى باسم « لتير » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاتي المهتدى باسم « جول » ان يحمل اسم «علي» وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الذين سموا الحاج مالك والخليفة ابا بكر سه والحاج منصور سه من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سموا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمه للقيام بهذا العمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان **هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة فى القادرية** واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري فى اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا فى دور الطرق الصوفية عموما فى **تعريب اعلام الاشخاص** الا ان نتكلم عن دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما فى فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب برت فيها غيرها من ضراتها . لقد فاقت المريدية فى **تعريب اسماء البقاع** وسبقت التجانية التواونية فى **تعريب اسماء المنظمات الداخلية** المسماة بـ « الدوائر » الموجودة فى جميع الطرق السنغالية والتى ابتدعها مجاراة للمريدية فى دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية فى تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتاسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز عن طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث **تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها** . فنثروا على ارضها هذه الاسماء اللطيفة فى السمع مثل : طوبي – دار السلام – دار المعطي – دار الغفور – دار المنن – دار المنان – دار النعيم – دار العليم – دار الرحمن دار الرحمة – دار القدوس – الشام – مدينة – طائف – عالية – طوبي فال – طوبى كن ، وسموا سوق طوبي مهد المريدية هكذا .

ونشاط المريدية فى تعريب اعلام الامكنة يضاهيه نشاط التجانية فى تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشاة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تتابعت الحلقات فى هذه السلسلة : دائرة المهتدين – دائرة المنة – دائرة المقتفين – دائر المتقين – دائرة الوفاء – دائرة المهاجرين والانصار – دائرة المقتدين – دائرة المحسنين – دائرة الابرار – دائرة الخليفة الاكبر – دائرة الخير والبر – دائرة المومنين . الى غير ذلك من **الاسماء الرنانة التى اطلقت على مئات الجماعات** .

وهذا التعريب الذى يتولى كبره قادة الطرق الصوفية فى الاسماء التى يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل فى الشعب حماسة مماثلة فعرب الكثيرون منهم اسماء القرى التى اسسوها ويتجلى هذا فى الاحياء الشعبية فى المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها اسماء مثل : فاس ـ نمساط ـ طوبي ـ مدينة ـ دار السلام ـ مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك فى اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الاعضاء المنخرطين فى احدى الجمعيات ، او اسماء الجنود فى احدى الثكنات العسكرية او اسماء التلاميذ فى احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسماء القرى والدساكر والاشخاص المعربة .

قمت انا شخصيا لاختبار سرعة التعريب فى اسماء الاشخاص فاعجبتني السرعة التى يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ فى اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المئويتين المعدتين عن قوائم اسماء كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879 م ارتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ فى عام 1966 م

اما الطريقة التى سلكناها فى هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر فى السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . وثبتنا فى الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار متان» اليومية « Dakar Matin » فى عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 ـ 7 ـ 1960 ويوم السبت 23 ـ 7 ـ 1960 . وهي قوائم اسماء النواب المرشحين للانتخاب للحزبين المتنافسين فى الحكم فى السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة فى عددها الصادر يوم الخميس 18 ـ 1 ـ 1968 وهي قائمة اسماء النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام المذكور مكملة بعشرين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين فى الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة فى عددها الصادر يوم 2 ـ 8 ـ 1968 . وهي اكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسماء الناجحين فى امتحانات الدخول فى السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسماء هذه القائمة متقاربون فى السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد فى قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري فى جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب ابجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تاثير العربية فى اللغات المحلية

اثرت العربية فى لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاتية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية فى الكتابة بلغتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يترسلون ويدونون بها خواطرهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الافعال الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم علامة المضارع على اصل الفعل والتلفظ بعلامة الجمع . وتاخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الولف والتكلور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الوف فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها «المصدور» يتالف البيت منها من صدر ولفي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولفي . ومنها المحشو يحشي القسم الولفي بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولفيين.

طبق المستعربون الفلاتيون والولفيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات اغراض مختلفة كالقصة والوعظ والمدح والهجاء والرثاء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من اللغو المنافي للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الولفية والعربية ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقرار بهما والاعتراف بهما وهما **ظاهرة تاثير العربية في الولفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تاثيرها فيها بانسداس الكثير من مفرداتها اليها .**

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان **الكثير من المفردات الولفية المهجورة** في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب ـ غير المستعربين ـ **بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء** واللغويين الولف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على انفراد بالكلمة الولفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث واللغة مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه اثناء تطور لغة الحديث بقيت اللغة الشبيهة بالمكتوبة متحجرة يتناقلها المستعربون كابرا عن كابر وحفظت الكثير من المفردات المندرسة من الذواكر . وفي العصر الحاضر **لا يمكن لاحد تاليف معجم ولغوي كامل قوي دونما استمداد واستعانة بهؤلاء المعممين** المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الولفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستثبات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الولفية غير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المعممين .

اما الجهة الثانية من تاثير العربية في الولفية وهي انسداس كثير من مفردات العربية الى الولفية **تتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الولفية خلال الاحتكاك الطويل بين اللغتين** . والكلمات التي اقتحمت على الولفية عرينها ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الغائرة التي اصابتها اثناء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبنوي والمعنوي اصابها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تغزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبنوي للكلمات العربية المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادقين » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الولفية .

يجرنا الكلام على تاثير العربية في الولفية الى ذكر ما يعترض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في اللغة الولفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . **ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .**

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالولفية ، اصلا، تتعرض لتحريف لا محيد عنه، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ هـ . اما اشهر دواعي التحريف المبنوي فهو :

1 ـ **الترخيم** : هو ضرب من التحريف يأتيه الولفي لاظهار التحنن على المعبر عنه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف عن الصور الولفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زينب	نب	سي	جارية	جاد	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رقية	رق
نفيسة	نف	«	عبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	«	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	«	هرون	ار	رحمة	رم

ولعلنا لاحظنا ان العلم «زينب» اصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الزاي في اوله سينا فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في «هرون» وغيره .

2 ـ ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا . .

3 ـ تقلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالبا في وسط الكلمة : حبيب (ابيب) حليمة (المة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) عائشة (ايسة) هرون (آرون) محمد (ممد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

4 ـ يقلبون الثاء ، والذال والزي والشين والصاد والظاء سينا لانها غير موجودة في لغتهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 ـ ويقلبون الضاد لاما والظاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط : 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بامور قد اختص اهل هذه اللغات او برزوا او امتازوا بانتاجها او اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تاثير العربية في الولفية خصوصا من الناحية الدينية .

الكلمات العربية المولفة :

اجل (نعم)
آدم
ابيس
الاثنين
الاحد
الآخرة
الاربعاء
اسرافيل
الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)
البيت (الجزء من القصيدة)
البدعة
البرادة
البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)
البركة
البطاقة
البلاء
البهيمة
التخمة
التربية (بالمعنى الصوفي)
الترجمان
التسبيح
التفسير
التهمة
التهجي
التوبة
التوفيق
التيمم
الثلاثاء
الجائحة
الجامع
الجان! (الحية)
الجاهل
جبريل
الجلباب
الجمعة
الجن
الجنة
الجنازة
الجهاد
جهنم
الجو
الجيب
الحاج
الحاجة
الحج
الحديث
الحرام
الحرف
الحرمة
الحق
حواء
الخاتم
الخبر
الخطبة
الخليفة
الخميس
الدائرة
الدابة
الدار
الدبران
دجنبر
الدراهة
الدرجة
الدرهم
الدنيا
الدواة
الدية
الدين
الذكر
ذو الوجهين
الراية
الربا
الركعة
الركوع
الروح
الروضة
الزاوية (مكان تجمع الصوفية للذكر)
الزيارة
الزكاة
الساعة
السبب
السبب
سبوح
الشر
السجادة
السجود
السر
السطر
السطل
السكر
السلام
السلام عليكم
السماء
السنة
السورة
الشرح
الشرط
الشريف
الشغل
الشيطان
الصابون
الصبح
الصدقة

الصراط	القلم	ما رضيت عليه	الناقة
الضر	القفطان	مارس	النصراني
الضعيف	القوال	المحراب	النفس
الطالب	القياس	المداراة	الهدية
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقصة	المسيح	الورقة
الطرة	الكافد	المسيح الدجال	الوقت
عزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
العادة	الكاس	المسكين	الوظيفة
العورة	الكامل	المصاحة	الورد
العيب	الكمال	المصيبة	الوفاة
الغوث	الكرامة	المعنى	الولي
الفتنة	كش !	المقامة	يرحمك الله
الفجر	الكفر	المكان	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملحفة	يوم القيامة
القبر	الكوب	الملاك	الزمن
القبة	لا بد	المهدي	العرش
قدوس	الله	المنبر	اليهود
القصيدة	اللوح	الميراث	القصبة
القطب	الماموم	ميكائيل	الشر
القرنفل	المثال	المنافق	الفوقية
		لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب عبرة وبمه
اراقها كلمتا سعدى بمه وبمه !

اذ كلمتني بتين الكلمتين بلا
هزل ومزح بدا لي انها بنمه

وان حبل وصال صار منصرما
او واهنا خلقا تجديده تنمه

مالي اراني ان لامست فانية
عصر الشباب تقبل او تقل ببمه

واليوم ان لمست خودا يدي لعبا
تافقت ثم نادت : « يا أبي سرمه ! »

وكل ناهدة الثديين تلحظني
بعين سخط فتعلي صوتها نومه

وان لهوت تلهت او دنوت نأت
وان اسل فجواب عندها خممه

كل كاعب واعدتني زورة عشقا
زمان شرخي ولما جئتها نخمه

ما قالت اذ كنت أملودا كلمتها
بهيم ليل سوادا فادة منمه

لكن للشيب في فودي وجمجمتي
وخطا وخطا فعذراء النسا نبمه

— * —

الا ارعواء لمن ولت شبيبته
وآذنت بمشيب معلم هرمه

بل كل ضيف كريم القوم حوله
قرى عليه وهذا شيبه كنمه

فاقره — ان ترى ما عشت شادي من
هو الشفيع وكل قائل تلمه

من ذاته كل ذات لازمت عرضا
في عشر شعرتها لو تفتدى سقمه

من كل جرم له قدر يعمره
عند الفراغ فداه والفداد يمه

من دونه كل منطوق بحرف هجا
في الأسم الا الها غيره سكمه

من تحته كل موجود له جهة
من أي ست وربي انني نرمه

محمد سيد السادات لا احد
منهم مدانيه او قالا كنمه

صلى عليه الله العرش ما رجيت
شفاعة منه او قول له ولمه

يا من شفاعته يرجو ويأملها
اهل الكبائر امثالي فدا تنمه

فان جاهك عند الله منجمل
هو العظيم ففي الاهوال فتلكمه

اهوال دنياي او اهوال آخرتي
أو برزخ ثم من ذكراك ديلتمه

لا زلت انبك واسمع ما اردده
يا خير من يرتجيه مرتج ويمه

وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاضي
مجنحت كل ومنوها بشان الشيخ احمد بمب :

ابدى الكجوري فنا فى البديـع « كمن
ندف » بديعـا كما ابدى وما بدعـا

ان الحقيقة بحر غـاص فيه « تفـر
درمو » عند التقاط الغـائص الودعا

اجاد مدح النبـي الهاشمـي « تـوخ
سخلا ميتم » واجاد المـدح والقذعـا

فالليث ليث عريض الساعدين « كجس
جفم « تيقن ان قد طال ما صرعـا

نفى وحوش الفلا عن ارضه « بجـدو
جستى ج سو فم س» لاسيدا ولا ضبعا

— * —

لكن هنالـك شبـل رابـض « بجكـى
ج خمن » ان سيجيد الصيد والنقعـا

لولا حيـاء وتقـوى ربـه « اكتـم
د دول يم » شب بـرا عالـا ورعـا

وحرمة الشيخ « اكتم موك مك ث بدون
ك ملن من » رد مـاء حيثمـا نبعـا